جامعة ديالى
كلية العلوم الإسلامية
قسم العقيدة والفكر الإسلامي

مادة التصوف والأخلاق
المرحلة الأولى
الكورس الأول

أستاذة المادة : فريال عبد كريم

2025/2024

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد امام المتقين وقدوة السالكين وعلى آله وصحبه اجمعين وتابعيهم بإحسان الى يوم الدين.

تعريف التصوف لغة :

التعريف اللغوي: يقال: تصوف اذا تعبد أو تنسك، فالتصوف على هذا التعريف هو العبادة والتنسك. ويقال أن (ال صفوان كاوا يخدمون الكعبة وينسكون ولعل الصوفية نسبة اليهم أو تشبيها بهم في التعبيد والتنسك)

وقيل نسبة الى اهل الصفة. فيقال مكان الصفية. الصوفية بقلب احد الفائين واوا للتخفيف.

والصوف ككشاف: من يعمله (وصوفه البحر شيء على شكل هذا الصوف الحيواني).

ومن الابديات : قولهم (لاتيك ما بل البحر صوفه) .

والصوفان : شيء يخرج من قلب رخويايس ، تقدح فيه النار وهو من احما يكون للمقتدحين .

وصوفة الرقبة : زغبات فيها ، وقيل هي ما سال في نقرتها . ويقال جبة صيفه

ي ككسيه أي كثيرة الصوف ، اصله صيوفه فقلبت الواو ياءاً فادغمت .

ويقال (صاف الكبش صوفا ، وصووفا فهو صاف واصوف وصائف وصوف كفرح فهو صوف ككتف صوفاني بالضم وهي بها اذا اكثر صوفه .

والصوفانة بالضم بقله زغباء قصيرة . وصاف السهم الهدف بصوف ويصيف عدل وعنا وجهه مال ، واصاف الله عني شره أماله)

(وصوفه أبو حي من مضر وهو الغوث بن مر بن طابخة كانوا يخدمون الكعبة

ويجيزون الحاج في الجاهلية أي يفيضون بهم من عرفات وكان احدهم يقول أجيزي صوفة فاذا اجازت قال : أجيزي خندق فان أجازت أذن الناس بحلهم في الاجازة . و يقال انهم قوم من أفناء القبائل تجمعوا فتشبكوا كتشبك الصوف) .

وهكذا نرى ان هذه التعاريف اللغوية قد تصرف الكلمة الى معاني بعيدة عن مرادها أو المعنى الذي اطلقت من اجله ، , و على كل حال المتفق منها كله مجتمعا يعني ان التصوف التنسك والتعبد أو معاني قريبة من ذلك فقصدهم فيه من قولهم صاف السهم وأصاف الله عني شره أي ما لوا عن الدنيا وزهرتها وزخرفها وانطلقوا الى الله تعالى ، ولبسوا الصوف الذي هو شعار العباد والزهاد من قديم الزمان سواء في ديننا أو في الأديان السابقة وهذا ما سنراه أيضا بصورة أوضح في التعريف الاصطلاحي

اصطلاحاً

عَرَّف التَّصَوُّفَ عَدَدٌ منَ المَنسوبينَ إليه، وعَرَّفه آخَرونَ من غَيرِهم.
فقال مَعروفٌ الكَرخيُّ: (التَّصَوُّفُ: الأخذُ بالحَقائِقِ، واليَأسُ ممَّا في أيدي الخَلائِقِ) .
وقال الجُنَيدُ: (التَّصَوُّفُ: أن تَكونَ مَعَ اللهِ بلا عَلاقةٍ) .
وعَرَّفه أيضًا فقال: (التَّصَوُّفُ تَصفيةُ القَلبِ عن موافَقةِ البَريَّةِ، ومُفارَقةُ الأخلاقِ الطَّبعيَّةِ، وإخمادُ الصِّفاتِ البَشَريَّةِ، ومُجانَبةُ الدَّواعي النَّفسانيَّةِ، ومُنازَلةُ الصِّفاتِ الرَّبَّانيَّةِ، والتَّعَلُّقُ بعُلومِ الحَقيقةِ، واتِّباعُ الرَّسولِ في الشَّريعةِ) .
وقال سُحنون: (التَّصَوُّفُ هو أن لا تَملِكَ شَيئًا، ولا يَملِكَك شَيءٌ) ..
بها التَّصَوُّفُ الإسلاميُّ في كُتُبِ التَّصَوُّفِ وغَيرِها فإنَّنا نَستَطيعُ أن نَقولَ: إنَّ التَّصَوُّفَ كما يَراه الصُّوفيَّةُ في عُمومِه هو السَّيرُ في طَريقِ الزُّهدِ، والتَّجَرُّدُ عن زينةِ الحَياةِ وشَكليَّاتِها، وأخذُ النَّفسِ بأسلوبٍ منَ التَّقَشُّفِ وأنواعٍ منَ العِبادةِ والأورادِ والجوعِ، والسَّهَرِ في صَلاةٍ أو تِلاوةِ وِردٍ، حتَّى يَضعُفَ في الإنسانِ الجانِبُ الجَسَديُّ، ويَقوى فيه الجانِبُ النَّفسيُّ أوِ الرُّوحيُّ، فهو إخضاعُ الجَسَدِ للنَّفسِ بهذا الطَّريقِ المُتَقدِّمِ؛ سَعيًا إلى تَحقيقِ الكَمالِ النَّفسيِّ، كما يَقولونَ، وإلى مَعرِفةِ الذَّاتِ الإلهيَّةِ وكَمالاتِها، وهو ما يُعَبِّرونَ عنه بمَعرِفةِ الحَقيقةِ) .
وقد عَرَّفه مُحَمَّد فِهر شقفة بقَولِه: (التَّصَوُّفُ طَريقةٌ زُهديَّةٌ في التَّربيةِ النَّفسيَّةِ يَعتَمِدُ على جُملةٍ منَ العَقائِدِ الغَيبيَّةِ «الميتافيزيكيَّةِ» ممَّا لم يَقُمْ على صِحَّتِها دَليلٌ لا في الشَّرعِ ولا في العَقلِ). وقد شَرَحَ هذا التَّعريفَ، فقال: (وقَولُنا: يَعتَمِدُ على جُملةٍ منَ العَقائِدِ «الميتافيزيكيَّةِ» ممَّا لم يَقُمْ على صِحَّتِها دَليلٌ في الشَّرعِ ولا في العَقلِ، يَعني: تلك العَقائِدَ التي تَبحَثُ فيما وراءَ الطَّبيعةِ، والتي

يَدَّعونَ بأنَّهم تَعَلَّموها عن طَريقِ الكَشفِ، أو ورَدَت إليهم عن طَريقِ الخَواطِرِ أوِ الرُّؤى المناميَّةِ، كَعَقيدةِ البَعضِ في الحُلولِ ووَحدةِ الوُجودِ، والحَقيقةِ المُحَمَّديَّةِ واعتِبارِها أصلًا لكُلِّ حَياةٍ بَشَريَّةٍ وكَونيَّةٍ، وعَقيدةِ البَعضِ الآخَرِ عنِ النَّواميسِ الطَّبيعيَّةِ ممَّا لم يُخبِرْ بذلك قُرآنٌ ولا سُنَّةٌ، ولا يَقومُ على أساسٍ عِلميٍّ، ولا يَتَّفِقُ مَعَ المَقاييسِ العَقليَّةِ) .
وهذا أجودُ التَّعريفاتِ السَّابقةِ

اشتقاق كلمة تصوف

ذهب العلماء في اشتقاق كلمة التصوف الى عدة مذاهب أهمها :

1. انها نسبة الى الصوف ، لان الصوفية كانوا يلبسونه .
2. انها نسبه الى الصف الأول بين يدي الله تعالى لارتفاع هممهم واقبالهم على الله تعالى بقولهم .
3. انها نسبه الى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله (صل الله عليه وسلم).
4. انها نسبه الى الصفاء لصفاء اسرارهم ونقاء اثارها.

وهناك اراء أخرى ولكنها بعيدة الاحتمال او لا صلة لها بالتصوف، كقولهم (انه نسبه الى صوفه بن بشر قبيلة في الجاهلية من العرب).

ورجح كثير من العلماء وخاصة اهل اللغة ان النسبة للصوف هي الأولى لقربها للنسبة اللغوية (فالعبارة صحيحة من حيث اللغة) ومنها ، (ان غالب لبسهم الصوف ، فنسب الى ظاهر حالهم وان كان الصوف لباس الأنبياء عليهم السلام وكثير من الزهاد والعباد من الصحابة ، والتابعين رحمهم الله تعالى ولكن لا يمكن ان تسمى الطائفة لمجرد هذا اللباس بهذه التسمية وان كان في طريقهم خشونة كخشونة الصوف على الجسم .

والذي اراه ان هذه التسمية توافق المعنى من جهة واحدة وتحالفه من جهات كثيرة : منها ان الصوفية لا يشتغلون بالظواهر لا نهم اشتغلوا لتعمير بواطنهم وإصلاح قلوبهم ومجاهدة نفوسهم ، وكما ورد عن النبي (صل الله عليم وسلم) : عن أبي هريرة (رضي الله عنه)قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم) ، وراه مسلم في صحيحه ، وبن الله لا ينظر الى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكم ينظر إلى قلوبكم) ، وراه في صحيحه ، وبن ماجة .

ومنها : ان الملبس لا قيمة له عندهم سواء كان رثا أو حسنا ومنه قول السيد احمد الرفاعي قدس الله سره العزيز :

ليس التصوف بالخرق من قال هذا ما صدق

ان التصوف يا فتى شوق يمازجه قلق

ومنها قول العامة : (لو كانت الولاية بالصوف لطار الخروف) .

والذي ارجحه ان نسبته للصفاء وصفاء القلب والسريرة لانهم يرددون هذا القول الذي يشير الى ذلك :

ولست امنح هذا الاسم غير فتى صفا فصوفي حتى سمي الصوفي

متى ظهر مصطلح التصوف :

من المعلوم ان لقب الصوفية محدث لم يعرف في زمن النبي (صل الله عليه وسلم) ولا في زمن أصحابه الكرام .

اذن فمتى ظهر هذا المصطلح وعرف هذا اللقب ؟ اختلف في عصر ظهور هذا اللقب وشيوع استعماله وذيوع صيته على جماعة معينة مخصوصة .

فقيل انه ورد على لسان الحسن البصري رحمه الله تعالى ، أنه قال : (رأيت رجلا صوفيا في الطوائف) ، مما يدل على تقدم اطلاق هذا اللقب ومعرفته منذ عهد التابعين ، لكن ليس لدينا ما يصحح هذه النسبة .

كما انه اطلق على احد العباد انه صوفي وقد عاش في وسط القرن الثاني الهجري وهو أبو هاشم الصوفي ، الذي كان معاصرا لسفيان الثوري رحمه الله تعالى الذي ينقل عنه التحدث به أيضا .

ومن المؤكد ان شيوع هذا اللقب لم يجد له في هذه العصور مكانة تؤثر ، ويرجع السبب في ذلك الى ان شرف الانتساب الى الصحبة [1] لرسول الله والانتساب الى التابعين [2] وتباع التابعين أو الزهاد والعباد لم يكن يسمح للقب الصوفية بالانتشار والاشتهار .

وذلك لان الحديث الوارد في افضلية الصحابة (رضي الله عنهم) اهل اقرن الأول ثم الذين يلونهم كما قال الرسول الكريم (صل الله عليه وسلم) : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... الحديث) .

فاكثر الروايات تشير الى ان وقت ظهوره كمصطلح يطلق على جماعة مخصوصة في أواخر القرن الثامن الهجري

نشأة التصوف

يمثل التصوف نزعه انسانيه تعاقب ضهورها في حضارات مختلفة ،وبصور متفاوتة في التعبير عن شوق الروح للتطهر والزهد فيما يتسابق عليه الناس من مباهج الحياة ومفاتن الدنيا ورغبه في التعالي عن شهوات المادة ونبذ حطام اللذات بغية الارتقاء الى سلم الصفاء الروحي والتسامي في مراتب الكمال الخلقي .

ولم يكن المسلمون بدعاً في نبذ زخرف الدنيا ومباهجها والسعي نحو زخرف الروح وصفاء النفس لكن لكل منهم ما يميزه عن الاخر في إبراز تلك النزعات الإنسانية بأن تصبغها بلغة ومفردات وعقائد تناسب نهجها الديني والحضاري

وبواكير التصوف: التخوف وكثرة التعبد والتقشف وزهد في الدنيا وورع في المباح ، غير أن ليس كل زاهد متصوفاً ولا كل فقير يسمى صوفياً.

قال الدكتور حسن إبرأهيم حسن :ومن المسائل التي شغلت أفكار المسلمين في ذلك العصر [التصوف]وذلك أن كثير من المسلمين الذين اشتهروا بالورع والتقوى لم يجدوا في علم الكلام ما يقتع تفوسهم المولعة بحب الله، فرأو ان يتقربوا اليه من طريق الزهد والتقشف وفتاء الذات في حب الله، ومن ثم سموا [بالمتصوفين]

وأول من تسمى بالصوفي هو أبو هشام الذي ولد في الكوفة وامضى سواد حياته في الشام وتوفي سنة ١٥٠ هجري

أن التصوف كان معروف في زمن النبي [صلى الله عليه وسلم] واهل التحقيق متفقون على ان التصوف نشأ وترعرع فى العراق في البصرة ، حيث برزت أسماء كبيرة أسهمت في تأسيسه منها إبراهيم بن ادهم ،وداوود ين نصير الطائي ، ورابعه العدوية ،معروف الكرخي ا، السري السقطي ، جنيد البغدادي ، وبشر بن الحارث الحافي ، أبو الحسين أحمد بن محمد بن عبد الصمد النووي ،وأبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز ، وابن عطاء البغدادي ، وأبن عثمان المكي ،وغيرهم خلق عظيم.

فأول ما ضهرت الصوفية ،من البصرة وأول من بنا دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وهو من أصحاب الحسن ،وكان في البصرة ،من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مالم يكن في سائر أهل الامصار ولهذا كان يقال فقه كوفي ،وعبادة بصرية ،وقد ظهر على المتصوفة البصريين مالم يذكر في غيرهم نحو الموت والأغماء عند سماع القرآن ، فقد روي ان قاضي البصرة زراره بن اوفى قرا في صلاة الفجر ((فإذا نقر في الناقور)) سورة المدثر فخر ميتاً، واخرون يخرون صعقاً من ايات العذاب .

والمتتبع لنشأة تسمية التصوف يجد أنها مرت بعدة مراحل مختلفة قبل ان تتسمى بهذا الاسم المعروف [التصوف]

لم يتسمى أفاضل المسلمون في عصرهم بتسميات علم سوى صحبة رسول الله [صلى الله عليه

أذ لا افضليه فوقها ،فقد قيل [الصحابة] ولما ادرك العصر الثاني سمي من صحب الصحابة [التابعون] ورأو ذلك أشرف ، ثم قيل لمن بعدهم [أتباع التابعين] ثم اختلفت وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم عنايه شديده بامر الدين : [الزهاد والعباد] ثم ظهرت البدع

وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا بأن منهم زهاداً ،فأنفرد خواص أهل السنه المراعون انفسهم ومع الله تعالى الحافظون قلوابهم عن طريق الغفلة باسم [التصوف] وأشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر بعد المائتين للهجرة .

ومما يشهد لهذا ايضاً ما ذكره الكندي في كتاب {ولاة مصر في حوادث سنة مائتين } انه ضهر بالإسكندرية طائفه يتسمون بالصوفية يأمرون بالمعروف هذا عن ذيوع اسم التصوف وانتشاره ولكن يبدو ان اسم التصوف كان موجود قبل المائتين ولكن ذاع وانتشر بعد المائتين ، ،اول ما ضهرت الصوفية في البصرة.

أول من نقل التكلم بلفظ التصوف في أواخر القرن الثالث واوائل القرن الرابع الهجري ، فقد تكلم به غير واحد من الائمه و الشيوخ ، كأحمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وسفيان الثوري والحسن البصري .

وأول من عرف باسم صرفي في المجتمع الإسلامي : أبو هشام الصوفي(150 هجري] وكان من النساك يجيد الكلام وينطق الشعر ، قبل منتصف القرن الثاني الهجري ، وأما صيغة الجمع الصوفية فقيل : ضهرت عام ١٩٩١ هجري) .

ولسنا نهتم كثيراً بمصطلح الكلمة واشتقاقها بقدر اهتمامنا بمضمونها فأن شأت سم [التصوف] بالتزكية ،ونهي النفس عن الهوى كما قال تعالى :((وأما مَن خاف مَقامَ رَبهِ وُنهى النقس عن الهوى)) سورة النازعات ،أو سمه الأحسان أو علم التربية والسلوك ولكن لا مفر لنا من إطلاق أسم التصوف عليه لأنه الاصطلاح ألذي تعاهده أهل التاريخ وشاع عندهم اكثر من غيره .

وقد يتسائل الكثيرون عن سبب عدم ضهور هذه الدعوة الا بعد عهد الصحابة والتابعين ، والجواب عن هذا : أنه لم تكن ثمة حاجه إليها في العصر الأول .لأن اهل ذلك العصر كانوا أهل تقى وورع ، وأرباب مجاهدة واقبال على العبادة بطبيعتهم وبحكم قرب اتصالهم برسول الله [صلى الله عليه وسلم) كانو يتسابقون ويتبادرون في الاقتداء به في ذلك كله ، فلم يكن ثمة ما يدعو الى تلقينهم علماً ويرشدهم الى امر هم قائمون به فعلاً .

فالصحابة والتابعون وأن لم يسمو بأسم المتصوفين كانو صوفيين فعلاً وان لم يكونوا كذلك اسماً، وماذا يراد بالتصوف اكثر من ان يعيش المرء لربه لا لنفسه ويتحلى بالزهد وملازمة العبودية ، والاقبال على الله بالروح والقلب في جميع الأوقات وسائر الكمالات التي وصل بها الصحابة والتابعون من حيث الرقي الروحي الى اسمى الدرجات فهم لم يكتفوا بالأقرار في عقائد الايمان والقيام بفروض الإسلام بل قرنوا الإقرار بالتذوق والوجدان وزادوا على الفروض بكل ما استحبه الرسول [صلى الله عليه وسلم] من نوافل العبادات وابعدوا عن المكروهات فضلاً عن المحرمات حتى استنارت بصائرهم وتفجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم وفاضت الاسرار الربانية على جوارحهم وكذلك كان شأن التابعين ،وتابعي التابعين ، وهذه العصور الثلاثة كانت از هى عصور الإسلام وخيرها على الاطلاق

وقد جاء عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم]

قوله : {خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم } .

أدوار التصوف الإسلامي

الدور الأول :دور النشأة

كان التصوف كما قلنا من قبل في صدر الإسلام نوعا من العبادة يقصد بها طاعة الله والطمع في الجنة والخوف من النار ،وكان من مظاهر العبادة غير الصلاة تلاوة الادعية و التهجد بذكر الله ،كما كان من مظاهره أيضا الفقر والزهد في الطعام و المسكن و الملبس ،وقد تأثر هؤلاء العباد بحياة الرسول والصحابة والتابعين رضي الله عنهم في ميلهم اجمعين إلى الزهد في عرض الدنيا وزخرفها ، وكان أبو الحسن البصري على رأس متصوفة البصرة ، وفي ذلك الحين ظهرت رابعة العدوية ثم بنى االمتصوفون لأنفسهم الصوامع و لبسوا الصوف وبدأت تتكون لهم نظريات كما بدأ ذا النون المصري والمحاسبي وغيرهما يصفون أحوال النفس و مقاماتها ، كما تحدث أبو يزيد البسطامي عن حال الفناء ، وقد اطلقت كلمة [صوفي] لأول مرة في القرن الثامن للهجرة.

الدور الثاني : دور الكمال

بلغ التصوف القمة في القران المثالث الهجري، اذ انتقل من حلل الفناء التي قال بها البسطامي إلى فكرة الاتحاد التي قال بها الحلاج و الجنيد (،ومعنى الاتحاد عند المتصوفة ان المتصوف يفنى عن نفسة ثم تتحد نفسه بالله تعالى ، وبعد ذلك ذهب الحلاج إلى المقول بالحلول أي حلول الله في جسم عبده ، لذلك عذب وقتل وهو القائل، انا الحق وما في الجبة الا الله .وفي هذا الدور اصبح المتصوفة فلسفة ومباحث خلصة بهم فكانت لهم نظريات في الوجود و المعرفة و عنوا عناية خاصة بمذهب وحدة الوجود أي ان الله و العالم شيء واحد ،من هذا يبدو واضحا مدى اختلاط التصوف بالفلسفة عومن لشهر المتصوفة في هذا المدور شهاب الدين المسهر وزدي المقتول ومحيي الدين بن عربي وابن الفارض وجلال الدين الرومي

الدور الثالث: دور التراجع

في هذا الدور لم يسلم التصوف من مقاومة فرض الاشعرية قول المتصوفة في امكان الاتحاد بالله وحلوله في عبده ،ولمَ يقبلوا من اقوالهم الا ما كان يدور حول الزهد والتقشف ،وقد ايدهم في ذلك الامام الغز الي الذي اعترف بالكشف الرباني وان المتصوفة في صحوهم يرون أرواح الأنبياء و الملائكة ويسمعون أصواتهم ويفيدون منهم فوائد كبيرة ولكنه مع ذلك انكر

على المتصرفة قعرلهم بالاتحاد والحلول وفي هذا الدور انقسم المتصوفة الى فرقتين فرقة معتدلة وأخرى متطرفة مبتدعة ،وفي القرن السادس الهجري تغلب التصوف السني على التصوف الفلسفي ، ووافق المتصوفون المتأخر ون الامام الغزالي في ان التصوف رياضة روحية وزهد وتقشف وليس في حاجة إلى نظر يات فلسفية. على انه في نهاية القرن السادس دخاء كثير من الجهلة والامين والادعياء هذا اللميدان فاتجهت العناية الى الاكثار من الذكر في الحلقات وتلاوة الأدوار ثم تعددت الطوائف متحذة لها أسماء تدل عليها ، واصبح التصوف بعد هذا يعني بالظاهر اكثر من الباطن .

أهمية التصوف

إن التكاليف الشرعية التي أمر الإنسان في خاصة نفسه ترجع الى قسمين: أحكام تتعلق بالأعمال الظاهرة، وأحكام تتعلق بالأعمال الباطنة، أو بعبارة أخرى أحكام تتعلق ببدن الإنسان وجسمه، وأعمال تتعلون بقلبه.

فالأعمال الجسمية نوعان: أوامر وَنَواهِ؛ فالأوامر الإلهية هي: كالصلاة والزكاة والحج... وأما النواهي فهي: كالقتل والزنى والسرقة وشرب الخمر ...

واما الأعمال القلبية فهي أيضاً أوامر ونواهِ؛ أما الأوامر: فكالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله... وكالإخلاص والرضا والصدق والخشوع والتوكل ...

ولما النواهي: فكالكفر والمنفاق والكبر والعجب والرياء والمغرور والحقد والحسد.

وهذا القسم الثاني المتعلق بالقلب أهم من القسم الأول عند الشارع - وإن كان الكل مُهمّاً - لأن الباطن أساس الظاهر ومصدره، وأعماله مبدأ أعمال الظاهر، ففي فساده إخلال بقيمة الأعمال الظاهرة، وفي ذلك قال تعالى: (فمن كانَ يرَجو لقاءَ رَبّهِ فليَعْمَل عَملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة رَبّهِ، أحداً)

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه اهتمام الصحابة لإصلاح قلوبهم ويبين لهم أن صلاح الإنسان متوقف على إصلاح قلبه وشفائه من الأمراض والخفية والعلل الكامنة وهو الذي يقول (ألا وإن في الجسد مُضغة إذا صلحتْ صلح الجسد كله ماذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب).

كما كان عليه الصلاة والسلام يعلمهم أن محل نظر الله الى عباده إنما هو القلب: (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم)

قما دام صلاح الأنسان مربوطا بصلاح قلبه الذي هو مصدر أعماله الظاهرة تعين عليه العمل على اصلاحه بتخليته من الصفات المذمومة التي نهانا الله عنها ، وتحليته بالصفات الحسنة التي امرنا الله بها ،وعندئذ يكون القلب سليماً صحيحاً ،ويكون صاحبه من الفائزين الناجين (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم }

قال الإمام جلال الحين السيوطي رحمه الله :((وإما علم القلب ومعرقة امراضه من الحسد والعيب والرياء وتحوها مقال الغزالي : انها قرض عين))

فتقية القلب وتهذيب النفس من أهم الفرائض العينية وأوجب الأوامر الإلهية ، بدليل ماورد في الكتاب والسته وأقوال العلماء

آ-فمن الكتاب

1_قوالله تعالى : (قِل إنمّا حَرَمَ رَبِيَ الفواحِش ما ظَهَرَ مِنها وما يَطَنَ}

2_ وقوله تعالى : {ولا تقربوا الفَواحش ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ}

والفواحش الباطنة كما قال المفسرون هي :الحقد والرياء والحسد والنفاق .

ب_ ومن السنة

كال الاحاديث التي وردت في النهي عن الحقد والكبر والرياء والحسد .....وأيضاً الاحاديث الآسرة بالتحلي بالأخلاق الحسنة والمعاملة الطبية

2 والحديث ((الإيمان يضع وسيع وسبعون شعبه : فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدقاها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء من شعبة الإيمان))

فكمال الأيمان بكمال هذه الشعبة والتحلي بها ،وزيادته بزيادة هذه الصفات ، ونقصه بنقصها وإن الأمراض الباطنة كافية لإحباط أعمال الإنسان ولو كانت كثيرة

اما اقوال العلماء

لقد عد العلماء الإمراض القلبية من الكبائر التي تحتاج الى توبة مستقلة .

قال صاحب جوهرة التوحيد :

وأمُر بعرفٍ واجتنب نميمة وغيبة وخصلةُ ذميمة

كالعجب والكبر ونات الحسد وكالمراء والجدان فاعتم

يقول شارحها عند قوله _خصلة ذميمة: أي وأجتنب كل خصلة ذميمة شرعاً،وانما خص المصنف ما ذكره يعد اهتماماً بعيوب النفس ،فأن بقاءها مع إصلاح الضاهر كلبس ثياب حسنة على جسم ملطخ بالقاذورات ويكون ايضاً كالعجب وهو رؤية العبادة واستعظامها كما يعجب العابد بعبادته والعالم بعلمه فهذا حرام وكذلك الرياء فهو حرام ومثل العجب والظلم والبغي

والكبر وداء الحسد والمراء والجدل ويقول الفقيه الكبير العلامة ابن عابدين في حاشيته الشهيرة:

أن علم الإخلاص والعجب والحسد والرياء فرض عين، ومثلها وغيرها من آفات النفوس

،كَالكَبْرَ وَالشح وَالحَقَد وَالغَش وَ الغُضْبِ وَالْعَدَاوَةَ وَالبِغْضاءَ وَالطَّمَعِ وَالْبَخْلَ وَالْبَطَّرِ وَالخَيلاءَ والخيانة والمداهنة والاستكبار عن الحق والمكرر والمخادعة والقسوة وطول الأمل ونحوها مما هو مبين في ربع المهلكات من الأحياء

قال فيه ولا ينفُكَ عنهًا بشر، فيلزمه ان يتعْلَم مَنْهَا مَا يَرى نَفْسِه مَحَتَاجَا اليه وَأزْالتَهَا فرض عين، ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها وأسبابها وعلاماتها وعلاجها فأن من لا يعرف الشر يقع فيه

وقد تظاهرت نصوص الشرع والإجماع على تحريم الحسد و احتقار المسلمين ،وإرادة المكروه بهم ،والكبر والعجب والرياء والنفاق وجملة الخبائث من أعمال القلوب ، بل السمع والبصر والفؤاد ،كل ذلك كان عنه مسؤولاً ،مما يدخل تحت الاختيار

ويقول صاحب مراقي الفلاح : لا تنفع الظهارة الظاهرة إلا مع الطهارة الباطنة) بالإخلاص ، والنزاهة عن الغل والغش والحقد والحسد ،وتطهير القلب عما سوى الله من الكونين ، فيعبده لذاته لا نعله ،مفتقراً إليه وهو يتفضل بالمن بقضاء حوائجه المضطر بها عطفاً عليه ، فتكون

- 2 عبداً فرداً للمالك الأحد ، لا يسترقك شيء من الأشياء سواه ولا يستملك هواك عن خدمتك إياه قال الحسن البصري رحمه الله

رُبَّ مستورٍ سبته شهوته قد عري من ستره وانتهكا

صاحب الشهوة عبداً فاذا ملاك الشهوة أضحى ملكا

فاذا أخلص لله بما كلفه به وارتضاه، قام فأداه ،حفته العناية حيثما توجه وتيمم،وعلمه مالم يعلم

قال الطحطاوي في الحاشية :

دليله قوله تعالى {واتقوا الله ويعلمكم الله }

فكما لا يحسن بالمرء أن يظهر أمام الناس بثياب ملطخه بالأقذار والأردان لا يليق به أن يترك قلبه مريضاً بالعلل الخفية وهو محل نظر الله سبحانه وتعالى:

تطبب جسمك الفاني ليبقى وتترك قلبك الباقي مريضاً

لأن الأمراض القلبية سبب بعد العبد عن الله تعالى وبعده عن جنته الخالدة ، قال رسول الله ﷺ

[لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر].

وعلى هذا فسلامة الأنسان في اخرته هي في سلامة قلبة ونجاته في نجاته من الامراض

المذكورة وقد تخفى على الأنسان بعض عيوب، نفسه، توق عليه علل قلبه، فيعتقد في نفسه

الكمال وهو ابعد ما يكون عنه، فما السبيل الى اكتشاف أمراضه والتعرف على دقائق علل قلبه ؟ وما الطريق العملي الى معالجة هذه الأمراض ، والتخلص منها؟

ان التصوف هو التي اختص بمعالجة الأمر الامراض القلبية وتزكية النفس والتخلص من صفاتها الناقصة.

قال ابن زكوان في فائدة التصوف وأهميته:

علم به تصفية البواطن من كدرات النفس في المواطن

قال العلامة المنجوري في شرح هذا البيت ((التصوف علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من كدرات النفس ،أي عيوبها وصفاتها المذمومة كالغل والحقد والحسد والغش وحب الثناء والكبر والرياء والغضب والطمع والبخل وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء ،لأن علم التصوف يطلع على العيب، والعلاج وكيفيه، فبعلم التصوف يتوصل الى قطع عقبات النفس والتنزه عن بأخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة متى يتوصل بذلك ال-ى تخلية القلب عن غير الله تتعالى ،وتحليته بذكر الله تعالى

الفرق بين الزاهد والعابد والعارف

الزهد لغة؛

ترك الشيء او الميل إليه، الزهد ضد الرغبة، والحرص على الدنيا

اصطلاحا

قال الإمام الجنيد رحمه الله تعالي: الزهد استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب

وقيل: الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكليف،

وقال ابراهيم بن الادهم رحمه الله تعالى؛ الزهد فراغ القلب غن الدنيا لا فراغ اليد

وهذا زهد العارفين و أعلى منه زهد المقربين فيما سوي الله تعالى من دنيا وجنة وغيرها، إذ ليس لصاحب هذا الزهد إلا الوصول إلى الله تعالى والقرب منه

واعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات ألسالكين، ينتظم هذأ المقام من علم وحال و عمل كسائر المقامات، لان أبواب الايمان كلها كما قال السف ترجع إلى عقد وقول وعمل، العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات، قيل إن الزهد ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة وقيل ان يخلو قلبك مما خلت منه يد، ومنه جاء مصطلح الزاهد أي المعرض عن متاع الدنيا ولذاتها.

قيل لابن المبار ك يا زاهد، فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمه فتركها، واما أنا في ماذا زهدت؟

قال الامام العزالي في كثابه الاحياء لا يعسر على ملك الثلج بيعه بالجواهر واللآلئ، فهكذا مثال الدنيا والآخرة، فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لايزال في ذوبان إلى الانقراض، والآخرة كالجوهر الدي لا فناء له، فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والأخرة تقوي الرغبة في البيع والمعاملة، حتى إن من قوي يقينه يبيع نفسه وماله ، كما قال تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين انقسهم واموالهم بان لهم الجنة التوبة (111) تم بين ان صفقتهم رابحة فقتال: فاستبشروا بيعكم الذي بايعتم به (التوبة(111)

وهناك من فرق بين الصوفي والزهد والعابد فيذكر المحقق الطوسي في بيان ذلك :ان المعرض عن متاع الدنيا و طيباتها يخص باسم الزاهد ، والمواظب على فعل العبادات من القيام و الصيام و نحوهما يسمى العابد و المنصرف بفكر إلى الله مستديما لشروق نور الحق في سره يخص باسم العارف.

الفرق بين الزاهد والصوفي

الزاهد	الصوفي
الزاهد من يزهد في الدنيا	الصوفي يزهد في كل ما يبعده عن الله
الزاهد يحرم نفسه من متاع الدنيا	الصوفي لا يحرم نفسه من متاع الدنيا الا اذا حجبته عن الله
الزاهد غايته دخول الجنة	الصوفي غايته معرفة الله
الزاهد لابد ان يملك حتى يزهد	الصوفي لا يشترط ان يملك شيئا حتى يزهد فيه

على ذلك فأن الزهد في المفهوم الصوفي ان تكون الدنيا في يده لا في قلبه. ومن ذلك نرى ان كل صوفي زاهد، وليس كل زاهد صوفي

واعلم أن العارف هو العرف بلله تعالى وصفاته وملائكته و رسله وبالحكمة المودعة في نظام العالم لاسيما الأفلاك والكواكب وتركيب طبقات العناصر والأحكام وفي تركيب الأبدان الإنسانية فمن حصل له ذلك فهو العارف وإن لم يحصل له ذلك فهور ناقص العرفان وان انضم إلى ذلك استشعاره جلال الله تعالى وعظمته ورياضة النفس والمجاهدة والصبر والتوكل فقد ارتفع طبقة اخرى فإن حصل له بعد ذألك الاعراض عن كل شيء سوى الله وأن يصير مسلوبا عن الموجودات كلها فلا يشعر الا بنفسه وبالله تعالى فقد ارتفع طبقة أخرى وهي ارفع الطبقات.

اخلاق الصوفية

لقد بلغ من عظم مكانة الأخلاق في الشريعة الإسلامية أن حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمة بعثته وغاية دعوته في كلمة عظيمة جامعة، فقال(إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق.) وفي هذا اكبر دليل وانصح حجة على ان رسالة الإسلام حققت ذروة الكمال، وقمة الخير والفضيلة الأخلاق، كما آن القدوة هذه الأمة صلى الله عليه وسلم كان المثل الأعلى و النموذج الاسمى لخلق الكريم، وحسبنا في ذك ثناء ربه عليه في قوله سبحانه إوإنك لعلى خلق عظيم) (سورة القلم(

ولخص الصحابي الدليل جعفر بن رابي طالب (عليه السلام(الاخلاق الإسلامية حين قال للنجاشي

"أيها الملك .كنا اقوام أهل جاهلية نعدد الأصنام ،ونأكل الميتة ،ونأتي الفواحش ،ونقطع الأرحام، ونسيئ الجوار،ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث اله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه ،وأمانته وعفافه ،فدعانا الى اله لنوحده ونعبده ،ونخلع ما كنا نعبد نحن وابائنا من دونه من الحجارة والاوثان، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ،وصلة الرحم وحسن الجوار ،والكف عن المحارم والدماء ،ونهانا عن الفواحش، وقول الزور وأكل مال اليتيم ،وقذف المحصنات ،وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ،وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ،فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ،فعبدنا الله وحده ،فلم نشرك به شيئا، وحرمنا علينا ما حرم علينا ،وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ،فعذبونا وفتنونا عن ديننا

وانطلاقا من هذا الوصف الدقيق كانت رسالة الإسلام رسالة اخلاق رفيعة، وفضائل كريمة ،وسلوكات نبيلة مقصدها وغايتها مرضاة الحق تبارك وتعالى ،وتحقيق المحبة والقرب من أحسن الناس خلقا عليه السلام

فعن جابر أن رسول الله ﷺ(قال :إن من أحبكم إلي واقربكم مني مجلساً يوم القيامة احسنكم اخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون و المتفيهقون قالو: يا رسول قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟قال :المتكبرون

معنى الأخلاق لغة

الأخلاق جمع خُلُق بضم اللام وسكونها _هو الدين والطبع والسجية والمروءة، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها و معانيها. وقال الراغب :(والخَلقُ والخُلقُ في الأصل واحد ...لكن خص الخَلقُ بالهيئات والاشكال والصور المدركة بالبصر وخص الخُلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة

معنى الأخلاق اصطلاحاً

عرف الجرجاني الخلق بأنه : (عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهوله ويسر من غير حاجة الى فكر ورؤية، فأن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقاً حسناً، وأن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً

• وعرفه ابن مسكويه بقوله: (الخلق : حال للنفس ،داعية لها الى أفعالها من غير فكر ولا رؤية ، وهذه الحال تنقسم الى قسمين : منها ما يكون طبيعياً من أجل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب، ويهيج من أدنى صوت يطرق سمعه ، او يرتاع من خبر يسمعه ،وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من ادنى شيء يعجبه ،وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله .ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب ،وربما كان مبدؤه بالرؤية والفكر ،وثم يستمر أولاً فأولاً، حتى يصير ملكة وخلقا

أخلاق الصوفية

ومن هذه الأخلاق نذكر :

أولا: الحياء:

سئل عنه الجنيد فقال: رؤية الآلاء ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء .فمدار هذا الخلق لدية أنه حالة تتولد بين موقفين للإنسان المسلم النقي :

الأول : رؤية الآلاء، أي نعم الله عز و جل التي اسبغها على الإنسان ظاهرة وباطنا .

و الآخر رؤية التقصير، أي شعور المرء بأنه لا يستطيع أن يوفي هذه حقها من الشكر ، كما ينبغي أن يكون .

ومن ابرز الأمثلة على الحياء حياء سيدتنا فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهي على فراش الموت تفكر كيف تخرج جنازتها وتكشف على الرجال وتوارا الى مثواها الأخير

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال لفاطمة: ما خير للنساء؟ قالت: لا يرين الرجال ولايرونهن

ثانيا: التواضع

عبر جنيد عن التواضع بقوله: خفض الجناح للخلق، و لين الجانب لهم .

قيل لبعض الحكماء: هل تعرف نعمة لا يحسد عليها ،و بلاء لا يرحم صاحبة عليه؟ قال : نعم ، أما النعمة فالتواضع ، وأما البلاء فالكبر..

فالمسلم يتواضع مع الله عز و جل بأن يتقبل دينه، ويخضع له سبحانه ن و لا يجادل و لا يعترض على أوامر الله ، برأيه أو هواه ، و يتواضع مع رسول الله صلى الله علية و سلم ،بان يتمسك بسنته و هدية ،فيقتدي به في ادب وطاعة ،و دون مخالفة لأوامره و نواهيه ، والمسلم يتواضع مع الخلق بألا يتكبر عليهم ، و ان يعرف حقوقهم يؤديها اليهم .

وروي عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين كثير من القصص في السخاء، والكرم، وإخفاء الصدقات، فقد روي أنه كان يحمل الطعام في الليل، ويطرحه على أبواب الفقراء، ولم يعلموا بذلك حتى توفي -رحمه الله تعالى-

ثالثا: المروءة:

قال جنيد: المروءة احتمال زلل الإخوان.

واعتبرها أهل التصوف جمال الأخلاق ومنتهاها، ولحمة الفضائل وسداها، وخلق الكرام وأروع ما تحلى به الرجال، وشيمة النبلاء، بها تكمل إنسانية الإنسان، ويتميز بها عن غيرة من المخلوقات تميزا كبير.

رابعا: الفتوة:

قال جنيد: الفتوة كف الأذى وبدل الندى. وألا تنافر فقيرا، ولا تعارض غنيا.

والفتوة أن يكون العبد دائما في أمر غيرة.

فالفتوة عند الجنيد جمعت مكارم الأخلاق من: عفو وإثار وحماية للضعيف ونكران للذات وكرم وسخاء. فالفتوة عنده هي الزهد الكامل.

خامسا: القناعة :

قيل للجنيد: ما القناعة؟ قال: ألا تتجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك.

فالقانع بالكفاف أسعد حياة، وأرخى بالا، واكثر دعة واستقرار من المتفاني في سبيل أطماعه و حرصه، والذي لا ينفك عن القلق و المتاعب و الهموم.

محي الدين ابن عربي بين والوجود والحلول والاتحاد

هو محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي الأندلسي المرسي المعروف بابن عربي الصوفي ،استقر في دمشق ومات فيها بعد ان طاف كثير من البلدان توفي سنة 63338هجرية ، وله مؤلفات كثيرة منها الفتوحات المكية – وفصوص الحكم -و الاحدية -و الاتحاد -وغيرها كثير ويلقب بالشيخ الأكبر والية تنسب الطريقة الاكبرية الصوفية .

ومن أشهر أقواله: من قال بالحلول فدينه معلول ، و ما قال بالاتحاد إلا حديثا ادخل على المصطلحات الإسلامية منذ وجود ابن عربي وحتى الان ، و هو مصطلح" .

وحدة الوجود" الذي كان تطور لمصطلح سبق ظهوره مجيء ابن عربي وهو مصطلح الحلول و الاتحاد .

الحلول :هو إثبات لوجودين ، وحلول أحدهما في الآخر .

و يراد منه باصطلاح القائلين به من الصوفية وغيرهم : حلول الله عز و جل في مخلوقاته ، أو بعض مخلوقاته .

اما الاتحاد : فهو كون الشيئين شيئا واحدا . أي امتزاج الشيئين ، واختلاطهما حتى يصير شيئا واحدا :وهو اتحاد الله عز و جل بمخلوقاته ، أو ببعض مخلوقاته .

الفرق بينهما يتلخص فيما يلي :

1_ أن الحلول إثبات لوجودين، بخلاف الاتحاد فهو إثبات لوجود واحد.

2_ أن الحلول يقبل الانفصال، أما الاتحاد فلا يقبل الانفصال.

وحدة الوجود:

وهو مذهب فلسفي مفاده: بأن الله و الطبيعة حقيقة واحدة ، وان الله هو الوجود الحق ويعتبرون الله صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته .وهي فكرة قديمة احياها بعض المتصوفون المسلمون من أمثال ابن عربي ، وابن الفارض و ابن سبعين والتلمساني .والذين تأثروا بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة و فلسفة الرواقيين .وحدة الوجود عند الفلاسفة ، أن الموجود المطلق لا يمكن بأي حال ان يعيش وحده و لذلك يفيض من ذاته موجودات أخرى .

حقيقة الخلاف بين علماء التصوف والفقهاء

اختلف العلماء في شرح واقع الصراع الذي وقع بين المتصوفة وغيرهم فالناقدون لهم والمحاربون لنهجهم عللوا ذلك بما تدل عليه بعض عباراتهم ، التي فيها ما قد يستفاد منه مخالفة بعض أصول الاعتقادات أو بعض ما ثبت بالكتاب والسنة ، ولكن نفس كبار أئمة التصوف وعلماء العرفان، يعرضون أسباب الخلاف ويفسرون منشأ الخلاف بطريقة تختلف عن شرح معارضيهم، ولعل أهم الأسباب التي يعرضها العلماء الذين يقبلون التصوف ما يلي :

الأول : ابتعاد من يخالفهم عن فهم باطن الشريعة ، واقتصارهم على الظاهر فقط..،.

فكان ذلك مؤثراً في حصول عدم الانسجام مع ما يرتبط بباطن الشريعة يقول الهجويري وهو أحد كبار علماء الصوفية من أتباع أبي القاسم القشيري في كتابه (كشف المحجوب) أثناء كلامه عن التصوف : وقد حجب الله عز وجل في عصرنا هذا أكثر الخلق عن هذه الطريقة وأهلها ، وأخفى لطائفها عن قلوبهم ، حتى ليظن جماعة أنّ هذه الرياضة هي مجرد صلاح الظاهر دون مشاهدة الباطن ، وتظن جماعة أخرى أنّ هذا الأمر حيلة ورسم بلا حقيقة وأصل، إلى حد أنهم ارتكبوا المنكر أمام أهل الهزل وعلماء الظاهر، وفرحوا بإخفاء الأمر حتى قلدهم العوام ، ومحوا عن قلوبهم صفاء الباطن، ووضعوا مذهب السلف والصحابة على الرف .

الثاني : عدم فهم كلمات الصوفية على حقيقتها ، وأنّ ما لديهم من العلوم والمعارف.

إنما هو ناشيء من الكشف والشهود فاطلعوا على حقائق لا يمكن فهمها على ما هي عليه لمن لم يحصل له الانكشاف أو صارت بمكان من الدقة بحيث صار فهمها صعباً ، ولكي لا يدخل الجهال وأهل التطفل فيحسبون عليهم ، وهذا ما أطال علماء الصوفية بالحديث عنه ، حتى أفتى

بعضهم بحرمة قراءة كتب الصوفية لغير من هو مؤهل لذلك ، يقول السراج الطوسي وهو من علماء الصوفية في مقام بيان الجهل بحقيقة ما يقوله علماء التصوف : اعلم أنّ العلم أكثر من أنْ يحيط به فهم الفهماء أو يدركه عقول العقلاء وكفاك بقصة موسى والخضر (عليه السلام)، مع النبي موسى (عليه السلام)

، وما خصه الله به من الكلام والنبوة والوحي والرسالة .

وقد حكم السيوطي بحرمة قراءة كتب محي الدين ابن العربي لهذا السبب حيث قال فيما تقدم من كلامه : "والقول الفيصل في ابن العربي اعتقاد ولايته ، وتحريم النظر في كتبه ، فقد نقل عنه أنه قال : نحن قوم يحرم النظر في كتبنا" . قال السيوطي :

ذلك لأنّ الصوفية تواضعوا على ألفاظ اصطلحوا عليها وأرادوا منها معان غير المعاني المتعارفة منها، فمن حمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العلم الظاهر كفر، ونص على ذلك الغزالي في بعض كتبه ، وقال : إنه شبيه بالمتشابه من القرآن والسنة ، من حمله على ظاهره كفر ، قال السيوطي بعد ذلك : وقد سأل بعض أكابر العلماء بعض الصوفية في عصره ما حملكم على أن اصطلحتم على هذه الألفاظ التي يستشنع ظاهرها ؟ فقال. : غيرة على طريقنا هذا أن يدعيه من لا يحسنه ويدخل فيه من ليس أهله إلى أنْ قال : وليس من طريق القوم إقراء المريدين كتب التصوف ، ولا يؤخذ هذا العلم من الكتب ... الخ .

ويقول ابن خلدون في مقام بيان أنّ كلام الصوفية قد لا يفهم على حقيقته ، وأنّ مقصودهم يختلف عما قد يُستفاد من ظاهر عباراتهم : فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه ، لما أنه وجداني عندهم ، وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن أذواقهم فيه ، واللغات لا تُعطي دلالة على مرادهم منه ، لأنها لم توضع إلا للمتعارف ، وأكثره من المحسوسات .

إلى أنْ قال : فاعلم أنّ الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه، وصاحب الغيبة غير مخاطب، والمجبور معذور، فمن علم منهم فضله واقتداؤه حُمل على القصد الجميل من هذا وأمثاله، ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج ، لأنه تكلم في حضور وهو مالك لحاله.

الثالث : محاسبة علماء التصوف بسبب ما نسب إليهم أو بسبب جهلة الصوفية ممن لم يستوعبوا الأمور على حقائقها ، وقد نبه علماء التصوف الكبار على وجود الجهلة المدعين الذين شوهوا سمعتهم، يقول الهجويري في كشف المحجوب : اعلم أنّ هذا العلم قد اندرس في الحقيقة في زماننا هذا، وبخاصة في هذه الديار، حيث انشغل الخلق بأهوائهم وأعرضوا عن

طريقة الرضا ، وقد بدت لعلماء هذا العصر وأدعياء هذا الوقت صورة لهذه الطريقة على خلاف أصلها .

وقد أطال علماء التصوف الكبار في ذم المنتسبين لهم ممن لا يتقن طريقتهم يقول

الهجويري : وأما المتصوف الجاهل ، فهو الذي لم يصحب شيخاً ، ولم يتلق الأدب عن كبير، ولم يذق عرك الزمان له ، ويرتدي الأزرق بلا بصيرة ويلقي بنفسه بين الصوفية، ويسلك في

الخزي في طريق الإنبساط في صحبتهم ، وقد حمله حمقه على أنْ يظن الجميع مثله ، ومن ثم يشكل عليه طريق الحق والباطل .

الرابع: الإقبال على الدنيا عند البعض الذي تسبب في الطعن على شيوخ الحق المخلصين ، يقول الهجويري في كشف المحجوب : أما العلماء الغافلون ، فهم أولئك الذين جعلوا الدنيا قبلة قلوبهم، واختاروا السهولة من الشرع، واتخذوا عبادة السلاطين، وصيروا بلالهم مطافهم؛ وجيلوا جاه الخلق محرابهم ، وانخدعوا بغرور مهارتهم ، وشغلوا قلوبهم برقة كلامهم ، وأطلقوا لسان طعنهم في الأئمة والأساتذة ، وانشغلوا بقهر علماء الدين بكلام مزيد عليه ، وإذا وضعوا الكونين في ميزانهم لا يظهران ، ومن ثم صيروا الحقد والحسد مذهباً ..

وهذا هو حاصل أسباب الخلاف بين الصوفية وغيرهم

أولاً : هجمات فقهائية:

من الهجمات الحديثة أن نسمع محمد جميل غازي يقول بتعميم غير حكيم ((فإن الصوفية هى الوباء القاتل والداء العضال ، الذي منت به هذه الأمة افرقت الجماعة

وروجت البدعة ، وحاربت التوحيد ، وهاجمت السنة ، وأشاعت الفوضى)) .

وفي هجوم شديد يبدأ الشيخ عبد الرحمان عبد الخالق ، كتابا له بقوله ((أعظم فتنة ابتلي بها المسلمون قديما وحديثًا هي فتنة التصوف .هذه الفتقة التى تلبست المسلمين برداء الطهر والفقه والزهد والإخلاص .وأبطنت كل أنواع الكفر والمروق والزندقة... فأفسدوا العقول والعقائد ،ونشروا الخرافات والدجل... إذ حارب المتصوفة العلم والجهاد والبصيرة في الدين ...))

لا ريب في انطباق هذا الوصف على كثير من الصوفية النظريين ، وكذا العبثيين .

لكن ذلك لا يسوغ أن يساق الكلام والحكم على هذا النحو من التعميم الملبس ، والإطلاق الظالم الذي لايستثني ، ولا يتورع عن أعراض الصالحين والمستقيمين من أهل التصوف .

ثانياً: هجمات صوفية :

لم يسكت كثير من الصوفية عن الضيق والضرر الذي لحقهم من طرف كثير مِن لفقهاء ؛ فعبروا عن ذلك بكلام انتثر في كتبهم . من ذلك قول محيي الدين بن عربي ((ما خلق الله أشق، ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته، العارفين به...فهم لهذه الطائفة مثل

الفراعنة للرسل عليهم السلام)) . كما أنه ينعتهم بالغافلين وغير المحققين. وفي السياق نفسه نسمع عبد الحق بن سبعين ، كما يقول

عن الفقيه ومنهجيته الفقهية إنه((يدفع اليقين بالجهل. ، ويفعل فعل. أبي جهل. ، ويحجب نور الله. عن عباده بالفروع المعللة...ويمشي على الضلال ويركب جهله))

.ثم يطلب من قارئه أن يسخر بالفقيه ويعتقد جنونه ، وفي تعميم هجومي آخر نلقى الهجويري يقول ((المنكرون على الصوفية هم أشر خلق الله جل جلاله ، وأرذلهم ؛ لأن صحبتهم كانت مع أشرهم وارذلهم)) ،ثم نجا. الغزالي وهو ذو فقه - يجعل علم الفقه في الصنف الأخير من علوم الدين، وإنما وقع تقديمه -كما يقول كسبب حب المال والجاه. ..

تشتيت جهود كثير من الفقهاء والمتصوفة فيما لا يغني نفعا :

إن الإسلام ليس في غنية عن جهود أتباعه لا سيما العلماء وأصحاب الكفاءات الفكرية، وقد كان وسط جماهير الفقهاء والصوفية أعلام ومفكرون ذوي كفاءة راقية ، كان من حق الإسلام عليم أن يصرفوها في خدمة الدين والناس لا في الخصومة والتنابذ، وبرغم ذلك صرفوا الغزير من جهودهم في الخصومة الموجهة إلى إخوانهم في الدين، فخسر هذا الدين بذلك كثيرا مما كان حقه أن يوجه لخدمته، لا إلى خذلانه .

ولقد اصبح التصوف منذ القرن الثالث الهجري متميزا على علم الفقه من ناحية الموضوع والمنهج والغاية، ولا شك أنه كان لحركة تدوين العلوم الشرعية التي سبقت تدوين التصوف أثر في ذلك، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون، حيث قال: "فلما كُتبت العلوم ودُوِّنت، وألف الفقهاء في الفقه وأصوله، والكلام والتفسير وغير ذلك، كتب رجال من أهل هذه الطريقة- يقصد طريقة الصوفية- في طريقهم، فمنهم من كتب في الورع، ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك كما فعله المحاسبي في كتاب "الرعاية"، ومنهم من كتب في آداب الطريقة

وأذواق أهلها و مواجدهم كما فعل القشيري في "الرسالة"...، وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط.

ويصف ابن خلدون المقابلة بين علمي الفقه والتصوف، قائلا: "وصار علم الشريعة علي صنفين: صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفُتيا وهو الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات، وصنف مخصوص بالقوم- يقصد الصوفية - في القيام بهذه المجاهدة- يشير إلى مجاهدة النفس -، ومحاسبة النفس عليها، والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها، وكيفية الترقي فيها من ذوق إلى ذوق، وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك".

وقد أطلق الصوفية منذ هذا العصر وما بعده تسميات. خاصة على علمهم، فعرف بعلم الباطن، وبعلم الحقيقة، في مقابل علم الظاهر وعلم الشريعة، فهذا الإمام الطوسي في كتابه "اللمع" يتحدث عن علم الباطن وعلم الظاهر مبينا الفرق بينهما ، قائلا: "إن علم الشريعة علم واحد، وهو اسم واحد يجمع معنيين: الرواية والدراية، فإذا جمعتهما فهو علم الشريعة الداعية إلى الأعمال الظاهرة والباطنة، والأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح الظاهرة، وهي العبادات والأحكام، مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك، فهذه العبادات، وأما الأحكام فالحدود والطلاق والعتاق والبيوع والفرائض والقصاص وغيرها، فهذا كله على الجوارح الظاهرة، وأما الأعمال الباطنة فكأعمال القلوب، وهي المقامات والأحوال، مثل التصديق والإيمان واليقين والصدق والإخلاص والمعزفة والمحبة والرضا والذكر والشكر، فإذا قلنا : علم الباطن أردنا بذلك علم أعمال الباطن التي هي على الجارحة الباطنة وهي القلب، كما إذا قلنا: علم الظاهر أشرنا إلى علم الأعمال الظاهرة التي هي على الجوارح الظاهرة".

والصوفية حين يسمون علمهم بعلم الدراية أو الباطن أو ما شابه ذلك من تسميات، فإنهم يميزون بين علمين: علم نظري بالأحكام، وعلم بكيفية التحقق بها ذوقا وسلوكا، فالأول هو الفقه أو الظاهر، والثاني هو التصوف أو الباطن، هذا فضلا عن أن العلم الأول تجري أحكامه على جوارح الإنسان الظاهرة، في حين أن العلم الثاني لوم تجري أحكامه على الجارحة الباطنة في الإنسان وهي القلب.

وعلى ذلك متى تحقق العبد بالعمل بأحكام الشريعة، واتجه بقلبه نحو الله، وسلك غمار هذه التجربة الدينية، فقد حصل على العلم الباطن

ويصور القشيري في الرسالة العلاقة بين الشريعة والحقيقة تصويرا رائعا، فيقول:

"الشريعة أمر بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فأمرها غير مقبول ،وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فأمرها غير محصول والشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الا غير احول...، والشريعة جامت بتكليف الخلق، والقيقة إنباء عن تصريف الحق والشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده، والشريعة قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدّر ، واخفى وأظهر ".

وقد قول للجنيد: يسالك الرجلان عن المسالة الواحدة فتجيب هذا بخلاف ما تجيب داد قول: الجواب على قدر السائل، قال (٤) : "أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم".. وقال فى ذلك الشيخ زروق: "حكم الفقه عام في العموم، لأن مقصده إقامة رسم الدين، ورفع مناره، وإظهار كلمته.

وحكم التصوف خاص في الخصوص، لأنه معاملة بين العبد وربه، من غير زائد على ذلك. ومن ثم صحّ إنكار الفقيه على الصوفي، ولا يصح إنكار الصوفي على الفقيه، ولزم الرجوع من التصوف إلى الفقه، ولم يكف التصوف عن الفقه، بل لا يصح دونه، ولا يجوز الرجوع منه إليه إلا به، وإن كان أعلى منه مرتبة، فهو أسلم واعم منه مصلحة، ولذلك قيل: "كن فقيها صوفيا، ولا تكن صوفيا فقيها.

وقال الإمام مالك: من تصوف ولم يتفقه، فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف، فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق".

قال الشيخ زروق معلقا: تزندق الأول: لأنه قال بالجبر الموجب لنفي الحكمة

والأحكام.

وتفسق الثاني: لخلو عمله من التوجه الحاجب منهما عن معصية الله، ومن الإخلاص المشترط في العمل لله.

وتحقّق الثالث: لقيامه بالحقيقة في عين التمسك بالحق، فاعرف ذلك.

فعلم الفقه أو علم الظاهر ملازم لعلم التصوف أو علم الباطن تلازم الأرواح للأجساد، ولا يصح أحدها من دون الآخر، وقد أشار إلى ذلك أيضا، الشيخ أحمد زروق، حيث قال: "صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما يرضاه، ولا يصح مشروط بدون شرطه، ولا يرضى لعباده الكفر. فلزم تحقيق الإيمان، وإن تشكروا يرضه لكم). فلزم العمل بالإسلام. فلا تصوف إلا بفقه، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ

لا عمل إلا بصدق وتوجه الله تعالى، ولا هما [الفقه والتصوف] إلا بإيمان، إذ لا يصح واحد منهما بدونه، فلزم .

الجميع لتلازمها في الحكم، كتلازم الأرواح للأجساد، إذ لا وجود لها إلا فيها، كما لا - كمال له إلا بها . فافهم".

أهم نقاط الاختلاف .

إن الخصومة بين الفقهاء والصوفية كانت من العوامل التي أسهمت في استنزاف جهود فكرية كبيرة خسرها العالم الإسلامي .

إن الفقهاء المسلمين لم يكونوا . على نحو واحد في تعاملهم مع - التصوف..

والصوفية، حيث وجد بين الفقهاء من هو ضيق الأفق، ومن هو واسعه ، كما وجد فيهم من هو غال ومتطرف غير حكيم، في الحين الذي وجد فيه منهم من كان

معتدلاً ، مقسطاً ، حكيماً . .

إن الصوفية تباينت مواقفهم من الفقهاء، حيث وجد في الصوفية المتطرف الغالي ، كما وجد بينهم المعتدل العاقل .

إن الخصومة الصوفية الفقهية (الصوفقهية) تولدت تحت دوافع أهمها:

١-افتقاد- كثير من الصوفية ، والفقهاء أدب الخلاف ..

ب- وجود اختلاف قاعدي بين الطرفين على مستويات كثيرة أهمها : ما كان على مستوى المنهج ، والطرح الفكري ، وساحات الاهتمام والتوجه.

الملامية

:هم رجال الله الذين نالوا من الولاية الدرجات العالية ، وقد سمو. بالملامية. لان دأبهم ..

في بداياتهم ملامة النفس في كل الأحوال لأنها طريقتهم في تأديبها والأعراض عن العجب والرعونة وحتى لا يشاهدوا محاسنهم ، ولا يعجبوا بأنفسهم ، ولا يقعوا في آفةً العجب والكبرياء، وعلم الله صدق نيتهم وقوة عزيمتهم فسلط عليهم الخلق حتى يطلقوا فيهم ألسنة الملامة، ومكن في نفوسهم النفس اللوامة كي تلومهم على كل ما يصنعونه، وقد سئل بعضهم: لم استوجبت النفوس منكم الملامة على دوام الأوقات ؟

فقال : لأنها كف من عجب في قالب ظلمة مربوط بشواهد العامة ، ولأنها كف من جهل في قالب الرعونة مربوط بحبال الأطماع .فدواؤها : الإعراض عنها ، وتأدبها : مخالفتها ، وصيانتها : ملامتها .

وقد اظهروا للخلق ما يليق بهم من أنواع المعاملات والأخلاق ، وما هو نتائج الطباع ، وصانوا ما للحق عندهم من ودائعه المكنونة أن يجعلوا لأحد إليها نظراً أو للخلق إليها سبيلاً ، أو يكرموا عليها أو يعظموا بها، ومع ذلك غاروا على جميع أخلاقهم ومحاسن أفعالهم ، فخافوا أن يظهروها ، وعلموا ما للنفس فيها من المراد ، فأظهروا للخلق ما يسقطهم عن أعينهم ، وما يكون فيه تذليلهم وردهم ، وما لا قبول لهم معها ليخلص لهم ظاهرهم وباطنهم . وقد كان لأئمة الصوفية فيهم أقوال تكشف عن علو أحوالهم ومقاماتهم وتميط اللثام عن درجات قربهم من الله وإظهار ما حاولوا إخفاؤه وستره عن الخلق ، فيقول الشيخ أبو حفص الحداد النيسابوري :

« الملامية : هم قوم قاموا مع الله تعالى على حفظ أوقاتهم ومراعاة أسرارهم ،.

فلاموا أنفسهم على جميع ما أظهروا من أنواع القرب والعبادات ، وأظهروا للخلق قبائح ما هم فيه ، وكتموا عنهم محاسنهم ، فلامهم الخلق على ظواهرهم ، ولاموا أنفسهم على ما يعرفونه من بواطنهم ، فأكرمهم الله بكشف الأسرار ، والاطلاع على أنواع الغيوب ، وتصحيح الفراسة في الخلق ، وإظهار الكرامات عليهم ، فأخفوا ما كان من الله تعالى إليهم بإظهار ما كان منهم في بدء الأمر من ملامة النفس ومخالفتها ، والإظهار للخلق ما يوحشهم ليتنافى الخلق عنهم ويسلم لهم حالهم مع الله . وهذا طريق أهل الملامة ». ويقول الشيخ عبد الله بن منازل: « الملامة : هم قوم لم يكن لهم في الظاهر آيات للخلق.، ولا لهم في باطنهم دعوى مع الله تعالى ، وسرهم الذي بينهم وبين الله لا تطلع عليه أفئدتهم ولا قلوبهم »واما الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي فيقول :« الملامية : هم الذين زين الله تعالى بواطنهم بأنواع الكرامات من القرية

والزلفة والاتصال ، وتحققوا في سر السر في معاني الجمع ، بحيث لم يكن للافتراق عليهم سبيل بحال من الأحوال. فلما تحققوا في الرتب السنية من الجمع والقربة. والأنس والوصلة، غار الحق عليهم أن يجعلهم مكشوفين للخلق، فأظهر للخلق منهم ظواهرهم التي هي في معنى الافتراق من علوم الظواهر، - والاشتغال بأحكام الشرع وأنواع الأدب، وملازمة المعاملات ، فيسلم لهم حالهم مع الحق في جمع الجمع والقربة، وهذا من أسنى الأحوال ألا يؤثر الباطن على الظاهر »

واما عند الشيخ ابن عربي فهم الصنف الثالث من رجال الله فوق صنف الصوفية ، لا يتميزون عن المؤمنين بشيء زائد من عمل مفروض أو سنة ، انفردوا مع الله. .

راسخين لا يتزلزلون عن عبوديتهم مع الله طرفة عين، ولا يعرفون للرياسة طعماً لاستيلاء الربوبية على قلوبهم وذلتهم تحتها ، يفتقرون إلى كل شيء ، لأن كل شيء - عندهم هو مسمن الله ، ولا يفتقر إليهم في شيء ، وأبقوا لأنفسهم ظاهراً وباطناً : الاسم الذي سماهم الله به وهو الفقير ، مكانتهم في الدنيا مجهولة العين .

صفات الملامية

المتتبع لاحوالهم وصفاتهم يجد عندهم الفخر والعار والمدح والذم سواء ، ورد الناس ..

وعداوتهم لهم او محبة الناس وقبولهم لهم لايزيدهم ولا ينقصهم ، ولا يسمنهم ولا يضعفهم و كل هذه الأضداد من لون واحد .

ويقول الشيخ حمدون القصار : « الملامتي لا يكون له من باطنه دعوى ، ولا من ظاهره تصنع ولا مراءاة ، وسره الذي بينه وبين الله لا يطلع عليه صدره ، فكيف الخلق ؟ ! ». سئل بعضهم ما صفة أهل الملامة ؟

فقال : دوام التهمة ، فإن فيها دوام المحاذرة ، ومن قويت محاذرته سهل عليه رد

الشبهات وترك السيئات »

ومن احوالهم التخفي عن اعين الناس أخفاهم الله إجلالاً لهم كما يصفهم الشيخ الأكبر ابن عربي فيقول : « وهم رجال الله الذين اقتطعهم إليه وصانهم وحبسهم في خيام صون الغيرة الإلهية في زوايا الكون أن تمتد إليهم عين فتشغلهم ... فحبس ظواهرهم في خيام العادات والعبادات من الأعمال الظاهرة والمثابرة على الفرائض منها والنوافل ، فلا يعرفون بخرق عادة ، فلا يعظمون ، ولا يشار إليهم بالصلاح الذي في عرف العامة مع كونهم لا يكون منهم فساد ، فهم الأخفياء الأبرياء الأمناء في العالم ، الغامضون في الناس » .

ومن احوالهم ان لا يدركوا للرياضة طعما لاستيلاء الربوبية على قلوبهم تحققاً وعلماً وهم على صلاتهم على أداء الفرائض في الجماعات، والدخول مع الناس في كل بلد بزي ذلك البلد ، ولا يوطن مكاناً في المسجد ، وتختلف أماكنه في المسجد الذي تقام فيه الجمعة حتى تضيع عينه في غمار الناس ، وإذا كلم الناس فيكلمهم ويرى الحق رقيباً عليه في كلامه ، وإذا سمع كلام الناس سمع كذلك، ويقلل من مجالسة الناس إلا من جيرانه حتى لا يشعر به، ويقضي حاجة الصغير والأرملة ، ويلاعب أولاده وأهله بما يرضي الله تعالى ، ويمزح ولا يقول إلا حقاً ، وإن عرف في موضع انتقل إلى غيره ، فان لم يتمكن له الانتقال استقضى من يعرفه وألح عليهم في حوائج الناس حتى يرغبوا عنه ...

ثم أن هذه الطائفة إنما نالوا هذه المرتبة عند الله ، لأنهم صانوا قلوبهم أن يدخلها غير الله أو نتعلق بكون من الأكوان سوى الله ، فليس لهم جلوس إلا مع الله ، ولا حديث إلا مع الله ، فهم بالله قائمون ، وفي الله ناظرون ، وإلى الله راحلون ومنقلبون ، وعن الله ناطقون ، ومن الله آخذون ، وعلى الله متوكلون ، وعند الله قاطنون ، فما لهم معروف سواه، ولا مشهود إلا إياه، صانوا نفوسهم عن نفوسهم فلا تعرفهم نفوسهم ، فهم في غيابات الغيب محجوبون، هم ضنائن الحق المستخلصون، يأكلون الطعامِ ويمشون في الأسواق مشي ستر وأكل حجاب فهذه حالة هذه الطائفة» .

طريقتهم في التربية.

ارتكزت مناهج التربية عند الملامية على أسس كثيرة ولكل شيخ له طريقة في تطبيق هذه الاسس فيقول الشيخ حمدون القصار: طريق الملامة : هو ترك التزين للخلق بكل حال، وترك طلب رضاهم في نوع من الأخلاق والأفعال ، وألا يأخذك فيما لله عليك لومة لائم بحال » .

اما الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي يقول : « طريق الملامة : هو ترك الشهوة فيما يقع فيه التمييز من الخلق في اللباس والمشي والجلوس والسكون معهم على ظاهر ...

الأحكام ، والتفرد عنهم بحسن المراقبة ، ولا يخالف ظاهره ظاهرهم بحيث يتميز منهم ، ولا يوافق باطنه باطنهم ، فيساعدهم على ما هم عليه من العادات والطبائع ، ولا يخالف ظاهرهم بحيث يتميز » ...

- ومما تقدم نخلص ان الملامية او الملامتية هم صنف من رجال الطريقة وصلوا التى ما وصلوا اليه من الدرجات العلى والمقامات الرفيعة بسلوكهم منهج فروا به من آفات النفس والشهوات الى خالق الكون والبريات وكان لهذا المنهج التربوي أصول مباديء .::

استمدوها من علوم الحضرة المحمدية ومعارفها من خلال فهمهم لقوله من عرف نفسه فقد عرف ربه ،فخبروا نفوسهم وفتقوا أسرارها وأغلقوا عليها أبوابها وسدوا عليها مراحاتها فأنتج ذلك علوم ربانية ومعارف يقينية ، علموا قيمة ما كسبوا فحاولوا الاحتفاظ بهذا الكنز الرباني بعيدا عن أعين الناس ، فصانهم الله وجعلهم من ضنائنه وخاصته واسدل عليهم ستر الخفاء وآثرهم الله كما آثروه لهذا فهم الأخفياء الأبرياء الأمناء في العالم .

مقامات العارفين

المقام في الصوفية هي مرتبة، أو محطة، التي يصل إليها المريد خلال بحثه لإيصال نفسه إلى الله.

والمرتبة تحددها طريقة معاملة المريد خلال حياته اليومية والتي هي مزيج من المعرفة الباطنية وشعائر الشريعة الإسلامية. هناك اختلاف في عدد المراتب الصوفية لكن هناك إتفاق على وجود سبعة مراتب التي يتوافق عليها الجميع وهي: التوبة، الورع، الزهد، الفقر، الصبر، التوكل والرضا .ويرى الصوفيون أن هذه الصفات هي أساس رحلة الإنسان باتجاه الوحدة مع الله والتي هي ممارسات يومية على المريد أن يتبعها لتترقى روحه.

من واجبات الصوفي أن يعمل على ذاته لتحقيق كل رتبة من هذه المراتب وأن أن يصل في ممارستها إلى الكمال وذلك بالانغماس في ممارستها كأنها فطرته وليس خبرتها فقط.

والمراتب هي متسلسلة تراتبية ولهذا، على المريد أن يكمل مرتبة ما لينتقل إلى مرتبة أخرى أعلى. وعندم ينتقل إلى مرتبة أعلى، تصبح المرتبة السابقة من شخصيته الدائمة ولا يمكن أن ينساها أو أن تضيع من نفسيته.

المراتب السبعة

التوبة

أول المقامات وهي، بحسب الغزالي، التوبة وهي الاعتراف بالخطية والعمل على عدم ارتكابها مرة أخرى. وذكر إبن عربي أن هناك شروط للتوبة النصوح هي:

الندم على القيام بالخطيئة، الترك الفوري للخطيئة، والاقتناع الشخصي بعدم العودة للقيام بها. واعتبر ابن عربي أن الإطالة في التفكر في عمل ما بعد القيام به هو من دون جوى ومن سلبياته أنه يعطل الإنسان ويبعده عن الله.

الورع

ثاني المقامات هو الورع، أي التيقظ عند التفكر أو القيام بعمل. ولها ثلاث مراتب هي: الأولى هي تجنب ما يقع بين الحرام والحلال وهي مرتبة العامة. الثانية هي الانتباه بتجنب الخطيئة (وهم ابتعدوا عن التعلق بالخطاء) وهي مرتبة النخبة. والثالثة هي الانتباه وتجنب كل ما قد يبعد المريد عن الله. وهي مرتبة الحظوة.

الزهد

ثالث المقامات هو الزهد أي التخلي عن كل ما هو غريزي وخاصة فيما هو مسيء أو غامض. وهناك ثلاث مراتب للزهاد: الأولى هم من لا يشعر بحاجة لامتلاك ماديات أرضية ولا يحزن عندما يخسرها. الثانية هم من خبروا التخلي عن الماديات مما يجعلهم يكتشفون الصالح الحقيقي للنفس ومثل مدح الأخرين، الشرف و الإطمئنان والثالثة هم من يتخلون عن الزهد نفسه والتخلي عن فكرة العمل الصالح طمعا بالجنة أو خوفا من النار.

الفقر

رابع المراتب هو الفقر أي التخلي عن المزايا المادية وقبول الأخرين لهم. يعتبر الصوفيون أن هذه من صفات الرسول الذي قال «الفقر هو فخري». ومن نتائج الوصول إلى مرتبة الفقر هو شعور المريد أنه ليس بحاجة لأي شيء من أي كان إذ أن الطلب من الأشخاص يولد امتنان تجاه الشخص مما يبعد المريد عن الله.

الصبر

خامس المراتب هو الصبر أي تحمل المصاعب في سبيل الله والانتظار حتى تمر الصعاب. قسم الغزالي الصبر إلى عدة أنواع هم: تحمل الألم، التغلب على نزعة تجاه الشر والطمع، تحمل صعاب المعارك، التغلب على الغضب، مقاومة حب الاقتناء. واعتبر الرسول أن الصبر من أصعب مهام المسلم ولهذا اهتم الصوفيون بتنميته.

التوكل

سادس المراتب هو التوكل أي الاستسلام لمشيئة القدر وتقبل كل شيء على أنه مقدر. وهي مرتبة نبيلة عند الصوفي التي يصل اليها بعد تدريب نفسه على الصبر ومن خلال الممارسة وترويض العقل.ومن نتائج هذا المرتبة هو الثقة التام بالله والتسليم لمشيئته.

ووضع آي ثقة بأي شيء أخر غير الله هو الشرك. تعتمد درجة التوكل بحسب درجة إيمان المريد. وعند الصوفية، من يصل إلى درجة الكمال في التوكل يوصف إلى أنه في الخواص الحقيقي للتوكل وهي درجة تطلب الكثير من المثابرة والتحكم بالذات.

الرضا

سابع المراتب هي الرضا أي القبول بالواقع. ويعتبرها الصوفيون البوابة إلى الله وهي الجنة على الأرض.

ويقسم من يصل اليها إلى ثلاث أنواع: الأول هم من يقبضون على مشاعرهم عندما تحل بهم المصاعب حتى تمر، الثاني هم من يقبلون اله ويطمحون أن يقبلهم الله. الثالث يتجاوزوا الجزء الثاني لقبول بأن الله وضع مشيئته مسبقا على كل خلائقه

تعريف الفناء لغة و اصطلاحا :

الفناء لغة : الفناء نقيض البقاء، و العقل فنى يفنى ،يقال فنى الشيء فناء وتفانوا أي :أفنى بعضهم بعضا في الحرب ، وتفانى القوم مثلا أفنى بعضهم بعضا ،وفنى يفنى فناء هرم وأشرف على الموت هرم .

والفناء اصطلاحا :هو سقوط الأوصاف المنمومة ، كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة .

أقسام الفناء

أحداهما ما ذكر ،وهو بكثرة الرياضة ,والثاني عدم الإحساس بعالم الملك و الملكوت ،وهو بالاستغراق في الباري و مشاهدة الحق ،وإليه أشار المشايخ بقولهم : الفقر سواد الوجه في الدارين ، يعني الفناء في العالمين .

ومن تعريفاته :

1 رؤية العبد للعة بقيام الله على ذلك .

التعرف لمذهب أحل اللصلوظ فلا يكون شيء من ذلك حظ ويسقط عنه التميز فناء عن الأتياء كلها شغلا بما لتى به

3_الفناء هو فناء رؤيا العبد في أفعاله لأفعاله بقيام الله له في ذلك .

اقوال عن الفناء

سئل الجنيد عن الفناء فقال: إذافنى الفناء عن اوصافه وأدرك البقاء بتمامه

وقال ابن عطاء من لم يفن عن شاهد نفسه بشاهد الحق ،ولم يفن عن الحق بالحق ،ولم يغب بحضوره عن حضوره ولم يقع بشاهد الحق

وقال الشلبي من فني عن الحق بالحق لقيام الحق بالحق ،فني عن الربوبية بالعبودية وبهذا الفناء يحس الصوفي إحساس ذوق ووجدان وقلب وروح بأذن الله سبحانه معه وفي ضميره وحركاته وكلماته

من فناء الحظوظ

• يقول العلامة الكلاباذي: من فناء الحظوظ حديث عبدالله بن مسعود قال : ما علمت أن في أصحاب رسول الله (صل اش عليه وسلم) من يريد الدنيا حتى قال الله تعالى: {منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة }فكان عبدالله في هذا المقام فانياً عن إرادة الدنيا

النير فانا الهندية

مفهوم النير فانا في البوذية الحاينية هي حالة الخلو من المعاناة.

تعتبر ال(نيرفانا) هي حالة الأنطفاء الكامل التي يصل اليها الانسان بعد فترة طويلة من التأمل العميق ،يشعر بالمؤثرات الخارجية على الاطلاق أي انه يصبح منفصلا تماما بذهنه وجسده عن العالم الخارجي الهدف من ذلك شحن طاقات الروح من اجل تحقيق النشوة والسعادة القصوى والقناعة وقتل الشهوات ، ليبتعد بهذه الحالة عن كل المشاعر السلبية .

ويصل الكهنه البوذيين والفقراء الهنود الى حالة ال(نيرفانا) بعد فترات طويلة جداً من التأمل العميق الا ان الامر صعب جدا على عامة الناس ،وكل ما ذكرناه واقعي تماما على الرغم من ما يبدو عليه الامر فكره فلسفية .

العلاقة بينهما

أن تأثر بعض المنتسبين الى التصوف بجمله من الأديان ، حيث يرى بعض العلماء من تأثر الكثير من المتصوفة باديان الهند حيث يقول احدهم :كون التصوف وتعاليمه و فلسفته ، أوراده واذكاره وطرق الوصول الى المعرفة والمؤدية الى الفناء مأخوذة مستقاة من المذاهب الهندية والمانوية و الزرادشتية ،وقد اقر كبار الكتاب عن التصوف والباحثين فيه من المستشرقين والمسلمين وحتى الصوفية بالذلك

فالقول بالفناء الذي يدين به الصوفية هندي بحت وحتى الطريقة لحصول هذا الفناء ،وهي طريقة الرياضة ,و مخالفة الشهوة وتعذيب الجسد هي طريقة هندية أخذها الصوفية عنهم و المقصود هنا بالفناء ما يطلق عليه نيرفانا .

• وتأثر التصور الصوفي بمفاهيم الغنوصية والفلسفات اليونانية والهندية و المسيحية عليه ,وكلها خارجة عن مفهوم لتوحيد الخالص وبعيدة عن التصور الإسلامي وقيم الإسلام الاصيلة

المصادر

1-القران الكريم

2-المقدمة في التصوف وحقيقته .للأمام ابي احمد عبد الرحمن السلمي (ت_412ه)

تحقيق وتعليق الدكتور حسين امين .دار القادسية

3-مدخل الى التصوف ،السيد محمود ابي الفيض ،الدار القومية القاهرة

4-الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة السيد هاشم الرفاعي

5-الزهد وصفة الزاهدين _احمد بن محمد بن زياد بن بشر_ الطبعة الأولى _مطبعة النواعير -الرمادي

6-حقيقة التصوف -أبو سعيد التونسي -مكتبة الفارابي

7-حقائق عن التصوف -الشيخ عبد القادر عيسى ،ط(5)1414ه

8- دليل الكتاب والسنة في حقيقة التصوف للسيد سعدون جميل المشايخي الحُسيني(1434ه - 2013 م)

9-احياء علوم الدين للإمام الغزالي -الطبعة الثالثة _دار الفكر (1411ه _1991م)

10- كتاب فقه الاخلاق للمرجع الديني سماحة السيد محمد محمد صادق الصدر